مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٠، العدد ٢، صيف ١٤٣٥ هـ
صفحة ٢١٥ - ٢٣٤

حبّ الإمام علي عليه السلام في الأدب المسيحي المعاصر (لبنان نموذجاً)

مريم حكمت نيا[1*]، محمد خاقاني[2]

١. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

٢. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٤/٦/٢ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٤/٩/٢٢)

الملخّص

إن لحبّ علي عليه السلام جذوراً في التاريخ، تتخطّى الحدود الدينية والطائفية، كما تتعدى حدود الأزمنة والأمكنة. فقد أحبه الناس قديماً وحديثاً وأحبه أتباعه الشيعة وغيرهم من أبناء الإسلام ومن أتباع الديانات الأخرى. وفي العصر الحديث، بعد أن استفاق العرب لواقعهم أقبل الدارسون العرب على دراسة علي عليه السلام تدعيما للإسلام، أو العروبة، أو كليهما وبحثا عن جذور الأمة، ومدى إسهامهم في الحضارة العالمية. وقد أسهم الأدباء المسيحيون في هذه الساحة العلمية إسهاماً كبيراً وتعمقوا في آثاره وشخصيته فهزتهم هذه الشخصية العلوية من أعماقهم حتى أحبوه، فجعلوا ينشدون فيه أناشيد الحب، ونحن في هذا المقال نلقي الضوء على أهمية الحب في الإسلام والمسيحية أولاً ثم على حب الإمام علي عليه السلام بالذات من منظار الأدباء المسيحيين أمثال: جورج شكور، جوزيف الهاشم، نصري سلهب، بولس سلامة و... لنرى مدى هذا الحب عندهم؛ باحثين عن مظاهر حب الإمام علي عليه السلام وأسراره الخفية حسب ما نجد في آرائهم.

الكلمات الرئيسية

الأدب العربي، الإسلام، الإمام علي عليه السلام، الحب، المسيحية.

* الكاتب المسؤول

Email: m_hekmat@yahoo.com

مقدمة

من أشهر الكلمات المستخدمة، وأوسعها مجالاً، في الآداب العالمية عامة وفي الأدب العربي خاصة، كلمة الحبّ. وما من أديب أو شاعر، إلا وللحب مكان معتدّ به في كتاباته. وليس الأدباء وحدهم أبطال ميادين الحب؛ بل إذا أطلنا النظر في ميدان الحبّ الوسيع، نجد للحبّ دوراً كبيراً في حياة كلّ انسان؛ بل في حياة كل موجود حيّ، من إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جماد، حسب درجات الحياة فيه.

إن مجال الحبّ الواسع جعل الإنسان لينظر إليه كسبب أساس لخلق الله، حتى نسب إليه (جل جلاله) أنه قال: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق، لكي أعرف» (المجلسي، ١٣٦٣، ج٨٤، ص١٩٩).

مهما يكن من أمر هذا الحديث القدسي، سواء أصحّ أم لم يصحّ، قبِلَ التأويل أم لم يقبل، فإنه يدلّ على أهميّة الحب في كل أدوار حياة الإنسان، من بدء خلقه إلى نهاية أجله، في ولادته وتكوينه، في تعلقه بأبيه وأمه، وأهله وأسرته، وتعلقه بالبيئة حوله، وبماضيه ومستقبله، في زواجه وتناسله، في حياته المادية ومنافعها العاجلة، أو في حياته المعنوية ومنافعها الآجلة.

وكما لا يخلو إنسان من الحبّ في أي مرحلة من مراحل حياته، هكذا لايخلو منه في أي مستوى من مستوياته الفكرية والثقافية، بدءاً من الإنسان الجاهل إلى أعرف العرفاء بالله تبارك وتعالى، ومن الإنسان الكافر الفاسق المتخلف، إلى المؤمن الصالح المتقدم.

لقد شمل الحبّ كل مجالات الحياة حتى فسح مجالاً لنفسه في الكتب السماوية المقدسة، وكتب الأحاديث. وقد وردت مادة الحبّ في القرآن الكريم ثلاثاً وثمانين مرة نفياً وإيجاباً. وعدّه النبي ﷺ أوثق عرى الإيمان، حين سأل أصحابه عنه، وقال: «أيّ عُرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد. فقال رسول الله ﷺ: لكل ما قلتم فضل، وليس به؛ ولكن أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله، وتوالي أولياء الله، والتبري من أعداء الله» (الكليني، ١٣٦٥، ج٢، ص١٢٥).

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن الحبّ والبغض، وهل هما من الإيمان؟ فقال عليه السلام: «هل

الإيمان إلا الحبّ والبغض؟! ثم تلا هذه الآية: حبّب إليكم الإيمان، وزيّنه في قلوبكم، وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون» (الكليني، ١٣٦٥، ج٢، ص١٢٥).

وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام: هل الدين إلا الحب والبغض؟ (نوري، ١٤٠٨، ج١٥، ص١٢٨)

وفي الإنجيل نجد الحبّ أعظم وصية في الناموس، وأوّلها حيث يقول: «تحبّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها وهي أن تحبّ قريبك كنفسك» (متى ٢٢: ٣٥-٤٠).

فالحبّ بهذا المعنى هو الأساس لنظام الكون، وهو الدين والناموس الذي عرضه أنبياء الله تعالى.

إلا أننا لابدّ من أن لا نغفل قضية هامة في مجال الحبّ، وهي موضوع الحبّ ومتعلقه الذي يختلف من إنسان لآخر؛ لأنه هو الذي يعين اتجاه كل إنسان في حياته،كما يعين قيمته في كثير من الأحيان، فكلما ارتفع مستوى المحبوب، ارتفع المحبّ شأناً وجلالاً، وكلما قلّت قيمته، قلّت قيمة الإنسان.

ومن هنا نرى أن الله يوجّه الإنسان إلى حبّه تعالى بقوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْيَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾** (البقره/١٦٥)

وذلك ليرتقي الإنسان في ظل هذا الحبّ، إلى درجة عاليةٍ من الإيمان بالله، ويقترب من عبودية الله التي هي المقصد الأعلى للإنسان؛ لأنه إذا أحبّ الله حقاً وصدقاً، يحبّ ما يحبّه الله، ويكره ما يكرهه. كما يحبّ من يحبّه الله، ويكره من يكرهه.

وقد رأينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الحديث الذي أوردناه أنه لم يعتبر مطلق الحبّ أوثق عرى الإيمان؛ بل قيده بتوالي أولياء الله، والتبري من أعدائه.

والإمام الصادق عليه السلام أيضا قد جعل البغض إلى جانب الحبّ؛ لأن حبّ كل شيء يلزم بغض نقيضه.

وهذا هو الذي دفع عيسى عليه السلام ليقول قوله الفصل في الحب، ويبدي رأيه القاطع في العائلة الدينية الكبرى التي تعتمد على أبوّة الأنبياء، وذلك حين قال لأنصاره: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإني جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه،

والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحبّ أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحبّ ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها» (متى ١٠: ٣٤-٤٠).

يتبين لنا مما ذكر، ومن خلال الآيات والأحاديث الكثيرة التي وردت في هذا المجال، ولم نذكرها هنا، أن الأنبياء أرادوا أن يبنوا حياةً رفيعةً وعالية للبشر تفوق حياتهم المادية، وتقوم على أساس من دين الله وناموس الكون، يتبع فيه الإنسان هدفاً أعظم مما يقيده بالأم والأب والأهل المادي، وأعظم مما يقيده بالأمور المادية وأعظم مما يحيا بالخبز وحده، وتلك حياة طيبة بشّر بها جميع الأنبياء ولا يمكن أن يحياها إلا من ارتبط بالأنبياء والأولياء ارتباطاً من أعماق قلبه، وأحبهم، وآمن بأبوّتهم لبني البشر، واتبع النظام الذي جاءوا به من عندالله وعرضوه على الناس؛ وذلك لأن الله أودع ينابيع تلك الحياة الطيبة الخالدة في وجودهم، فمن اتصل بهم ورد منهل الحياة، ومن لم يتصل بهم ظل بعيدا عنها؛ ولذلك إن ادّعى أحد أنه يحب الله، ثم لا يكون بينه وبين أولياء الله وأحبائه علاقة تشده إليهم، وتصله بهم، فلن ينفعه حبه هذا. وإن نفعه في الدنيا لن يثمر له حياة ترفع به إلى الملأ الأعلى.

ومن الواضح أن يختلف الحب هذا عند الناس شدةً وضعفاً؛ لأنه قد يكون مجرد تعاطف مع قضية، وقد يكون تضحية في سبيل المحبوب، وأن يأخذ صليبه ويتبعه كما عبّر عنه عيسى عليه السلام.

حب الإمام علي عليه السلام ومظاهره عند المسيحيين

لقد تعلق المؤمنون من أصحاب الأديان، والطيبون من الناس بالأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأحبوهم. لكننا لا نجد بين الأنبياء والأولياء من تأثر بحبه الناس أعمق، ولا أشد من رجلين: علي عليه السلام وعيسى عليه السلام، فإنّ حب الناس زاد في عيسى عليه السلام حتى ظنه بعض أنصاره إلهاً من دون الله، وحذر النبي أن يتفوه بشيء من حقيقة علي عليه السلام مخافة أن يتخذه الناس إلهاً؛ إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «..لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمر بملأ منهم قلّوا أو كثروا إلاّ قاموا إليك، يأخذون التراب من تحت قدميك، يلتمسون بذلك البركة...» (الكوفي، ١٤١٠، ص٤٠٦).

إلا أن حب علي عليه السلام لم ينحصر في حدود شيعته وأنصاره؛ بل تجاوزها إلى أصحاب الأديان

الأخرى، وإلى أصحاب المكاتب العلمية، والفلسفية، والأدبية، والعرفانية، والصوفية، وغيرها، مما لا حصر لها من الأبطال، والثائرين، والزهاد. وقد أعجب به ملوك الترك والديلم إذ صوروا صورته الشريفة على سيوفهم تعويذةً لهم وطلباً للنصر باسمه الشريف وبركاته.

وقد أولع المسيحيون بحب عليٍ عليه السلام في العصر الحديث، وأحبّوه من أول خطوة تعرفوا عليه، ومن مظاهر ذلك الحب أنهم صرحوا به في مؤلفاتهم وقصائدهم، هذا هو الشاعر البارع سعيد عقل يقول:

حببت عليا مذ حببت شمائلي ... له اللغتان: القول يشمخ والعضب

(مؤسسة الحكمة، ١٤٣٠، ص٣٧٦)

وقد زاد الحبّ هذا كلما ازدادت معرفتهم به حتى حسب البعض نفسه شيعيا، أو حسبه الآخرون شيعيا، لكثرة حبه لعلي عليه السلام، يقول بولس سلامه: «بقي لك أن تحسبني شيعيا،... إذا كان التشيع حبا لعلي، وأهل البيت الطيبين الأكرمين، وثورة على الظلم، وتوجّعا لما حلّ بالحسين وما نزل بأولاده من النكبات في مطاوى التاريخ، فإنني شيعيٌّ» (سلامة، ١٤٢٣، ص١٢).

ومنها أننا كثيراً ما نجد فواتح المؤلفات تتزين بفاتحة الحبّ، فكأنّ حبّ عليٍ عليه السلام هو العنوان الثابت لكل ما كتب عنه الكتّاب، أو أنشد فيه الشعراء. فمثلاً روكس بن زائد العزيزي يبدأ كتابه بحبّه الصريح للإمام إذ يقول في بدئه: «أحببت الإمام علياً كرم الله وجهه من اليوم الذي قرأت فيه سيرته الخصبة وحياته النبيلة...» (العزيزي، دون تا، ص١٧).

ثم يبعث تحياته الحارة الخالدة لعلي عليه السلام أسد الاسلام وقديسه، والرجل العظيم، والبطل الحق، والإنسان البليغ، والمسامح الصبور، الحكيم الصريح العدل حسب تعبيره ثم يقول: «تحية خالدة لهذه المزايا التي اجتمعت في شخصيتك الفذة» (العزيزي، دون تا، ص١٩).

ومنها أيضا أننا كثيراً ما نجد كتبهم تُهدى إلى الإمام علي عليه السلام، أو إلى من يستهويه الإمام ومن هذا قول الكتاني: «إلى كل من يستهويه علي بن أبي طالب عليه السلام في بطولة القيم، وفتح كوى النفس على الحق والخير والجمال» (كتاني، ١٤٢٨، ص٤٨).

وقول الدكتور ميشال كعدي: «أقدمه إلى أهلي، وإلى من يستهويه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في بطولة القيم الإنسانية والفروسية والبطولة النادرة» (كعدي، ١٤٢٧، ص٥٠).

ومنها أنهم يريدون من وراء ما يكتبون عنه، أو ينشدون فيه رضاه، والثواب، والجنة كما نرى عند الشاعر الملحمي الكبير، عبدالمسيح الأنطاكي، وهو الذي نظم أول ملحمة عربية في

علي عليه السلام، لينال الثواب عندالله، والقبول عند إمام المتقين، وقد صرح بذلك في مواضع من كتابه وحين قال:

وقد جهدت على عجزي ونية إخـ ـــلاص لبيت رسول الله أنويها
أن أدركنّ بها رضوان حيدرة ومن به شغفوا حباً وتدليها

(الأنطاكي، ١٤١١، ص١٢)

وقال أيضا:

وقد طلبت بها حسن الرضاء فإن ترضى فقل بلغت نفسي أمانيها[...]
أبا الحسين انعطافاً للمحب وقد وافى لساحتك الزهراء يزجيها

(الأنطاكي، ١٤١١، ص١٩)

فأسنى رغائب الشاعر، وأسمى أمانيه أن يبلغ رضوان علي عليه السلام، من خلال مدائحه في علي عليه السلام، وملحمته القيّمة التي أتعب فيها نفسه. ولكنه اعتبر المتاعب كلها «وصب محبوب لقلب شغف بثاني الكاملين وأخي الرسول الأمين، أحد سيدي الثقلين... علي بن أبي طالب أبي الحسنين» (الأنطاكي، ١٤١١، ص٩).

وحقاً يستجاب دعاء الشاعر إذ لا يمكث طويلاً إلا وتأتيه البشرى بالقبول من خلال رؤيا يراها في إحدى الليالي حين كان مشغولاً بنظم الملحمة، فيُبشّر بالقبول بما نال من رغبته في ظل حبّ الإمام علي عليه السلام. وفي ذلك يقول هو نفسه: «وقد أبى المرتضى عليه صلوات الله إلا أن يشفق على هذا العاشق المفتون، وينعطف نحوه، فتفضّل على جلال قدره، ونظر إلى أحقر عبيده، بلطفه المتناهي وأمدّني بروحانيته القدسية في ليلة الأحد ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٣٦هـ - ١٤مارس ١٩١٨م». فكانت لي تلك الليلة المباركة ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر، توازي كل ما قضيته، وأقضيه من ليالي العمر في الصفو والبشر» (الأنطاكي، ١٤١١، ص١٣).

لقد ذكر الأنطاكي منامه بالتفصيل، وذكر فيه ما بشر به، إذ سمع صوتاً رخيماً له رنّات كرنّات المثالث والمثاني، يقول له: «بشراك، بشراك، فإن مدحتك السنيّة لقد قبلت، وقد نلت عالي الرضاء فافخر» (الأنطاكي، ١٤١١، ص١٥).

وبعد أن استيقظ من منامه صلى على محمد وآل محمد، ونظم فوراً هذه العناية العلويه التى يبدأها بقوله:

بشرى فنفسي قد نالت أمانيها فما أنا فوق ما نالت أمنيّها

بشـــرى لهـــا بلغـــت أسمـــى مطالبهـــا ... والـدهر أضـحى بمـا تبغـي يؤاتيهـا
وأيّ مفخـــرة تـرجـــو وقـــد كسبـــت ... مـــن المفـــاخر والألطـــاف عاليهـــا
وأصـــبحت تـــزدري أســـنى الرغائـــب إذ ... بـالنجح قـد كلّـل البـاري مساعيهـا
فـــإنها حـــرة فاستعـــبدت بسجـــا ... يـا المرتضـى فـرأى فضـلاً تأمّيهـا

(الأنطاكي، ١٤١١، ص١٣)

أسباب حب الإمام علي عليه السلام عند المسيحيين

وللمرء أن يتساءل ماالذي دفع المسيحي إلى حبّ الإمام؟ وما الذي هزّ ضميره حتى يعتبر نفسه عاشقاً مفتوناً أو عبداً لعلي عليه السلام ؟

يبدو أن المسيحي الذي يحبّ المسيح عليه السلام عادةً لما وجد فيه ما حبّبه إليه من آلام تهزّ المشاعر والضمائر، وزهد يجعله بريئاً وعالياً عن الدنايا، ومن تضحية تجعله خالداً في ذهن أي مسيحي إلى ما هنالك من أخلاقية رفيعة وصف بها المسيح عليه السلام من العفو والغفران والمحبة لجميع الناس. فعند ما يتعرف على علي عليه السلام يجد فيه شخصية مثالية وتجسيداً حقيقياً للمسيح عليه السلام في زهده، وآلامه، وتضحياته، وتسامحه، ومحبّته، فينجذب إليه، ويتعاطف معه.

كما رأينا من هؤلاء المسيحيين من تعاطف مع استشهاد الحسين عليه السلام ؛ لكونه أعظم فداء وأرقى شهادة، فأحبّه حباً كثيراً. ثم بنور الحسين عليه السلام اهتدى إلى علي عليه السلام فوجد فيه آمال البشرية كلها، وقد ساقه الحبّ هذا، إلى معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما هو الحال عند الشاعر المبدع جورج شكور. فقد نظم جورج شكور «ملحمة الإمام الحسين عليه السلام » سنة ٢٠٠١ و«ملحمة الإمام علي» سنة ٢٠٠٧ وملحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة ٢٠١٠. وتاريخ نظم الملحمات الثلاث يشير إلى أنه بسفينة الحسين اهتدى إلى علي عليه السلام ومنه إلى النبي العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد أشار الأديب نصري سلهب إلى أهمية الفداء في ذهن المسيحي؛ إذ قال: «فكل من آمن بأن الفداء طريق إلى السّماء، يشدّه إليه [علي عليه السلام] شوق وحنين» (سلهب، ١٤٣١، ص٣٦٧).

كما وجد هؤلاء في علي عليه السلام آلاماً تجرح القلوب، وتثير الضمائر، فتعاطفوا معه لما وجدوا في أنفسهم، وفي نفوس أمتهم آلاماً لا تداوى إلا برجل كعلي عليه السلام فأحسوا بحاجة ملحة إليه، وتحسّروا على فقدانه، واشتد حبهم له. ولهذا توفر في مؤلفاتهم ذكر هذه الحاجة وهذا التحسّر والتألم من مثل: «وكم نحن اليوم بحاجة إلى علي عليه السلام وأمثاله» (سلهب، ١٤٣١، ص٣٦٦).

يقوله سلهب ويخاطب علياًعليه السلام في كثير من المجالات، ويناجيه، ويبكيه بكل قلبه، ويستغيثه، ويستغفره، ويستعينه؛ بل يشكو إليه آلامه وآلام أمته ويقول: «أنا من بلاد الأجراس الحزينة والمآذن الصامتة، أنا من بلاد الكنائس الثكلى والمساجد المنطوية على الجراح، أنا من بلاد الكرامات المذبوحة تئنّ وتهمس في مسمع التاريخ همسات خافتات» (سلهب، ١٤٣١، ص٣٦٧).

وكم يتمنّى هؤلاء المسيحيون أن يعود إليهم عليعليه السلام بقوة زنده وإيمانه، ويعود إلى الأمة الجريح في هذا العصر «وماذا عليك يا دنيا لو حشدتِ قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره» (جرداق، ١٣٢٣، ص٤٢).

ويكثر الطلب والإستغاثة لعود الإمامعليه السلام إلى الأمة، وإلى العرب، وإلى الإنسانية جميعاً في قولهم، منها قول جوزيف الهاشم صاحب العلويات:

قم يا إمام فإن الليل معتكر ... والحصن مرتفع والأفق مضطرب

(الهاشم، ١٤٢٠، ص٣٩)

أو قوله:

قم يا إمام وسنّ العدل في وطن ... الله أعلم أين الرأس والذنب؟

(الهاشم، ١٤٢٠، ص٤١)

أو قوله:

عد يا إمام فللتاريخ دورته ... والأحرف السود وشّت بيض صفحته

(الهاشم، ١٤٢٠، ص٥٢)

أو قوله:

عد يا إمام فإن الساح في ظمأ ... لذي الفقار، وأجج نار ومضته

(الهاشم، ١٤٢٠، ص٥٣)

وفي الواقع يتعاطف الدارس المسيحي مع عليعليه السلام نظراً لزاوية من زوايا حياة الإمام في بدء الأمر، كالآلام، والفداء، أو الزهد والرحمة، أو العلم والفضائل، أو الإقدام والبطولة، أو الأدب والبلاغة، أو رؤيته الإنسانية الشاملة. ثم يزداد الحبّ عند ما يرى في حياة الإمام ميداناً فسيحاً لكل هذه الزوايا وفي شخصيته مجموعة من الفضائل والصفات الحسنى ما لا يمكن أن يجتمع في مجموعة من الناس، فيحتار في أمره، ويبلغ حب عليعليه السلام عنده قمّته، ويجد فيه طريق «الخلاص» الذي يؤمن به كل مسيحي.

فليس غريباً إذا رأينا المفكرين والأدباء المسيحيين يستعيدون الإمام، ويتفقدونه في عصرهم، ويظهرون له الحب والمودة. فلا نكاد نقرأ لكاتب أو شاعر منهم إلا ونجد بحر وجوده يفيض بالعاطفة الحارة، ثم يذوب في أمواج الحبّ العلوي، فلا يجد نفسه إلا خاشعةً أمام علي عليه السلام كالقطرة أمام البحر. فيحبه حباً يدفعه إلى الوقوف بوجه من أراد إخفاء حقيقته والدفاع عن حقه، وقد يؤدي هذا إلى مشاكل في حياتهم. وفي لقائي لبعض هؤلاء الأدباء والمؤلفين وجدت منهم من لا يأمن على نفسه؛ لأن بعض المعارضين لنهجه في الدفاع عن علي عليه السلام عزموا أن يقيموا الدعوى عليه. وقد كنت شاهداً على هجوم بعضهم عليه في قالب النطق والبيان على ملأ كبير من الناس، يوم كنت في لبنان.

على الرغم من أن جذور الحبّ عنده في بدء الأمر كانت مجرد تعاطف مع بطولة الإمام عليه السلام وشجاعته، لكنه بعد دراسة الإمام وجد فيه مثالاً لكل ما هو إيجابي على مسرح الوجود من الحق والعدل والإنسانية، ولكل ما هومحبوب لدى الطيبين من الناس والفضائل التي لاحصر لها وقد تجسدت كلها في وجوده. قال جوزيف الهاشم :

تجسدت كل أوصاف الكمال به	في ومض ساعده الإعصار والغضب
الصفح والعفو بعض من مآثره	وبعضه البرّ أم من بعضه الأدب
محجة الناس، أقضاهم وأعدلهم	أدق، أنصف، أدعى فوق ما يجب

(الهاشم، ١٤٢٠، ص٣٤)

وعدّه بولس سلامة صاحب ملحمة عيد الغدير: «سدرة المنتهى في الكمال البشري» (سلامة، ١٤٢٥، ص٢٧٧).

وقد بدا لي من خلال مقابلات أجريتها مع بعض الأدباء المسيحيين في لبنان أنّ أغرب وأعجب أمر عندهم بالنسبة إلى علي عليه السلام هو اجتماع الفضائل والعلوم في رجل من أولاد آدم عليه السلام ؛ لأن الإنسان مهما بلغ من العبقرية لا يمكنه أن تحيط بكل العلوم، وتتجلى فيه كل الفضائل بعرضها، وطولها، وعمقها، وارتفاعها. ومن هنا اعتبروه في عداد الأنبياء السلف؛ بل أفضل منهم حيث وجدوه توأم الرسالة المحمدية ونفس الرسول.

هكذا كان أكثر الدارسين. فقد تعاطفوا مع استشهاد الحسين عليه السلام أو آلام علي عليه السلام وغربته أو زاوية أخرى من زوايا حياته أولاً، ثم اندفعوا لدراسته، وازداد الحبّ في وجودهم، ونفذ إلى أعماقهم، وأخذ بجوامع قلوبهم بعد أن أخذ بأزمّة أفكارهم. فلم يسع القلب

العيسوي إلا أن يحبّ علياًعليه السلام ويصطبغ بصبغة حبّ علويٍ، ويتجّه اتجاهاً علوياً. لقد وجد الأديب المسيحي في عليٍعليه السلام مثالاً وقدوةً لكل الكمالات الإنسانية، حتى ألفى نفسه أنها استعبدت بسجايا المرتضى عليه السلام كما رأينا عند الأنطاكي حين قال:

فإنهـــا حـــرة فاســـتعبدت بســـجا يـــا المرتضـــى فـــرأى فضـــلاً تأمّيهـــا

(الأنطاكي، ١٤١١، ص١٤)

وليست نفس الأنطاكي الحرة هي الوحيدة التي استُعبدت بسجايا المرتضى، بل الذين استعبدت نفوسهم بهوى عليٍعليه السلام . كثيرون، منهم بولس سلامة الذي يقول في المعنى نفسه:

علـــيّ! منـــذ هـــواك الحـــرّ قيّـــدني أيقنـــت أنـــك للعليـــاء منتـــدبي

(سلامة، ١٤٢٥، ص٣٠٣)

فيرى نفسه أسير حبّ عليٍعليه السلام ، لكن الإسارة هذه هي الحريه الحقيقية بعينها؛ لأنها تشدّه إلى العلياء، وتدفعه إلى السجايا والفضائل التي بها تحلّى وجود الإمام عليعليه السلام .

وفي مجال آخر يجعل بولس سلامة الدافع الأساسي لحبّ عليعليه السلام أصوات الحق الذي جال في صدره ودعاه لنصرته؛ إذ كان كلّما سمع بما حلّ بعليعليه السلام وأولاده يلتهب صدره نصرةً للحق. إنه يقول: «وقد أولعت بالقرآن المجيد وتاريخ الإسلام منذ ما كنت صبياً فكيف بي وقد نيفت بي الأيام على الأربعين؟ وكنت كلما مر في خاطري مصرع أمير المؤمنين وابنه الحسين تلهب صدري نصرةً للحق ونقمة على الباطل» (سلامة، ١٤٢٥، ص٢٧٧).

وهذا الحق هو الذي جلجل في صدره، وهزه من ضميره فدفعه إلى الحبّ الكثير، حتى عدّ من فرط حبه علوياً حين يقول:

جلجـــل الحـــق في المســـيحي حـــتى عـــدّ مـــن فـــرط حبـــه علـــويّا

(سلامة، ١٤٢٣، ص٣١٢)

ولا ريب أن سلامةيقصد ويعني بالعلوي من ينتسب إلى الفرقة العلوية المعروفين بالغلو في حب الإمام عليعليه السلام ، والعلويون طائفة من الشيعة لجأوا من ضيق الأعداء إلى الاختفاء في مرحلة من مراحل التاريخ احتفاظاً بحب عليعليه السلام واتّهموا من قبل الأعداء بتأليه عليعليه السلام لكثرة حبهم له، وما زالوا متّهمين بذلك.

وفي لفظة "جلجل" تلميح إلى الجلجلة التى تعني عند المسيحيه قمة التضحية والفداء،

لأن اليهود عندما أرادوا أن يقتلوا عيسى عليه السلام، [حسب آرائهم] جاءوا به إلى قمة جبل يسمى «الجلجلة». فكأن الحق دفع سلامة أن يأخذ صليبه، ويمشي إلى الجلجلة ويتحمل المصائب في سبيل حبّ علي عليه السلام كما تحمّل الشيعة في التاريخ.

ولابأس أن نعلم أنّ المسيحيين يعتبرون الشيعة جلجلة الإسلام، وهذا يعني قمة الفداء والتضحيه في سبيل العقيدة.

وقد لمح المسيحيون الدارسون لعلي عليه السلام هذا التأثير في معرفة علي وحبّه عليه السلام فوجدوا فيه ما يخرج الإنسان من أنانيته، ويربطه ببني نوعه من الإنسان، ويجعله يتصالح مع الآخرين، كما يربطه بعليٍ عليه السلام والفضائل التي اكتملت في وجوده.

كما أشاروا إلى تأثيره في تحرير الإنسان وتخليصه، واعتبروا حبّ علي عليه السلام منجاةً للضمير الإنساني من الانزلاق وتمرداً على الباطل وخذلان الجريمة، قال فيه جرداق: «وفيه لجوء إلى الحق واعتصام الوجدان، بل إنّ فيه لما يخلص من الغرق ربّان سفينة بعث عليها العذاب من فوقها ومن تحتها...» (جرداق، ١٣٢٣، ص٩٤٧).

ولا ننسى أيضاً أن «الحق» الذي دفع سلامة وغيره، ليتابع سبيل علي عليه السلام هو في رأي المسيحي وسيلة التحرير إذ ورد في الإنجيل: «تعرفون الحق والحق يحرّركم» (يوحنا ٨: ٢٢).

طابع الحب في أساليبهم

وقد غلب الحبّ على أساليبهم حتى اتّهم البعض بغلبة العاطفة، والخروج عن الواقعية، أو الإفراط في الحبّ، فأجابوا إجابات لا بأس أن نذكر نبذةً منها:

ـ قال جوزيف الهاشم: «لعل الذين يجهلون الإمام، أو يتجاهلونه، يتهموننا ـ ونحن نعظّمه ـ بالمغالاة أو الإفراط العاطفي، وأي جواب أحجى من أن نوجّه إليهم الدعوة ليتشرّفوا بالتعرف إليه، ليقرأوه، يسمعوه، يواكبوه، ويعيشوا سيرته وجهاده ومآثره وخصائصه وأفعاله وأقواله...» (الهاشم، ١٤٢٠، ص١٢).

إنه لا ينكر حبّه الكثير لعلي عليه السلام ولا يأخذ على الذين يتهمونه، بل يدعوهم؛ ليتعرفوا على الإمام، ويتعرفوا على نهج البلاغة. لعلمه بأنهم لو تعرّفوا على الإمام لارتفع جهلهم به وانقلبوا محبين للإمام عليه السلام ويقول مرةً أخرى: «من قرأ نهج البلاغة أعجب بعليٍ ومن أعجب به أحبّه...» (الهاشم، ١٤٢٠، ص١١).

ـ أما جرداق فقد أطال في هذه الإجابة إطالةً مجيدة، حيث بحث الموضوع بحثاً وافياً. فرأى أن الدراسة مهما كانت علميةً بحتة، إلا أن لها مجالات لا تستطيع فيها أن توقف القلب، وتميت العاطفة. وقد أنكر جرداق ضرورة خلو البحث العلمي عن العاطفة، وعدّه تزمتاً منسوباً إلى العلم زوراً، وشبّه النقاد الذين يريدون من البحث العلمي أن يخلو من العاطفة بمن يريد أن يسلب النار حرارتها والريح عصفها والنهر مجاريه، ولم يسمح جرداق للبحث العلمي أن يكون خالياً من العاطفة إلا في حالتين:

الحالة الأولى: إذا كان الباحث جافاً في طبعه، قليل الخط من العاطفة والخيال، يدرس الحياة والأحياء بعقلية من يدرس جماد الطبيعة، فلا يرى فيه مجالاً أكثر من تسجيل الحوادث، وسرد الأرقام، وإقامة الدليل والبرهان.

والحالة الثانية: أن يكون المترجم له رجلاً عادياً، لا يربط بينه وبين الباحث شيء غير اسمه.

أما الدراسات التي تتعلق بعليٍ عليه السلام فهي مشدودة بطابع العاطفة والحبّ من جهتين: من جهة الباحث أولاً، ومن جهة المترجم له ثانياً.

فالباحث الذي يعطي للحبّ الاعتبار الأول في حياته، ويراه على رأس قائمة الأسفار الإلهية والوصايا الربانية، فكيف يمكن له أن يتخلى عنه في حين من الأحيان، ولو كان في مجال بحث علمي؟

والمترجم له حين يكون رجلاً كعلي بن أبي طالب، فلا يمكن للباحث أن يتخلى عن العاطفة أبداً، ويقف منه موقفاً حيادياً لا يبرز عواطف قلبه وأشواقه، وذلك لوجود خصائص في عليٍ عليه السلام، منها:

ـ أن لعليٍ عليه السلام القوة الفاعلة في صنع التاريخ وحوادثه، فهو الذي يصنع الحوادث ولا تصنعه الحوادث.

ـ أن علياً عليه السلام يتحد بالتاريخ وحوادثه اتحاد فكر وعاطفة وخيال، ويرتبط به ارتباط حياة وموت. وهذا ما يثير في نفس دارسه ما يجوز به نطاق البحث الجاف إلى عالم الأحاسيس الحيّة.

ـ يقف الباحث في دراسة عليٍ عليه السلام موقفاً لا يقدر إلا على أحد طريقين: إما أن يؤيد، وإما أن يستنكر، إما أن يحبّ، وإما أن يكره.

ـ أن في حياة علي عليه السلام ما يحرّك المشاعر ويوقظ الأحاسيس والضمائر. هذه هي القوة

الفاعلة التي تجعل علياً عليه السلام في عمق ضمير الإنسان، وضمير الزمن، ويجعله خالداً، يجوز المكان والزمان.

إن هذا الحبّ الذي عدّه النقاد خروجاً عن الواقعية في الدراسات العلمية خطأً، إنما هو أمر واقعي، وإظهاره لا يوجب الخروج عن الواقعية في دراسات تتعلق بشخصيته الإمام علي عليه السلام ، بل هو من طبيعة الدراسات العلوية ومن واقعها، وهذه حقيقة نصّ عليها كثير ممن درسوا علياً عليه السلام .

أما بالنسبة للشعر فيقول المطران العلامة جورج خضر: «وإذا كان موضوع القصيدة شخصاً كالإمام علي عليه السلام فبين الشاعر وموضوعه هيام» (شكور، ٢٠٠٧، ص٧).

ويقول جرداق: «ليس في سير العظماء واحدة كسيرة ابن أبي طالب عليه السلام تحرّك المشاعر، وتوقظ الأحاسيس الحيّة في كيان من يتعرض لها بدرس أو بحث. وبناءً على هذه الحقيقة الإنسانية، تجد أن دارسي شخصية الإمام، لابد من أن يطغى عليهم هذا الشعور العميق بالحبّ والإعجاب والعطف، إلا إذا كان لهم غرض في غير ذلك. فإن المرء عند ذاك يمكنه أن يجعل الصيف شتاءً والنهار ليلاً» (جرداق، ١٣٢٣، ص٩٦٠).

أسرار حب الإمام علي عليه السلام عند المسيحيين

إن لحبّ علي عليه السلام جذوراً في التاريخ تتخطّى الحدود الدينية والطائفية كما تتعدى حدود الأزمنة والأمكنة، فقد أحبه الناس قديماً وحديثاً، وأحبه أتباعه الشيعة، وغيرهم من أبناء الإسلام، ومن أتباع الديانات الأخرى. وقد ذكر المسيحيون أنفسهم مدى حب النصارى له ولذكره في مجالسهم فقال سلامة: «ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه» (سلامة، ١٤٢٣، ص١٠).

وقال الأنطاكي:

كذا النصارى بحبّ المرتضى شَغفت ... ألبابها وشدت فيه أغانيها
فلست تسمع منها غير مدحته الـ ... غرّاء ما ذكرتْه في نواديها
فارجع لقسّانها بين الكنائس مع ... رهبانها وهي في الأديار تأويها
تجد محبّته بالاحترام أوت ... نفوسَها وله أبدت تصبّيها

(الأنطاكي، ١٤١١، ص٧١١)

وما قاله الأنطاكي وسلامة يدل على أن محبة علي عليه السلام لا تنحصر في المسيحيين الذين درسوا علياً عليه السلام في العصر الحديث، بل يخبر عن عمق هذا الحبّ عند النصارى، في قديم الزمن وعند الرهبان والقسيسين وفي الكنائس والأديرة. وهذا ما يجعلنا نعتقد بوجود رموز وإشارات عند المسيحيين، وفي أسفارهم في ما يتعلق بعلي عليه السلام كما لهم رموز في محمّد صلى الله عليه وآله . فليست الدراسة هي التي تحبب علياً عليه السلام إلى الدارس المسيحي فحسب؛ وإنما هناك أمر آخر وراء الدراسة يحبّب إليه عليا عليه السلام ؛ وإن كانت الدراسة في العصر الحديث سبيلاً إلى معرفته التفصيلية، إلا أن وجود هذه السابقة التاريخية وهذا العمق في المحبة عندهم يدلان على وجود أمر معهود، مذكور لديهم، وفي أسفارهم، أو سر مكتوم في ذات علي عليه السلام العالية وشخصيته النبيلة. وقديماً كشف ابن اسحاق الموصلي النصراني عن حقيقة في ذات علي عليه السلام وأهل البيت حين قال:

يقولون ما بال النصارى تحبهم	وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم: إني لأحسب حبهم	سرى في قلوب الناس حتى البهائم

(الأميني، ١٣٨٧، ج٣، ص٧)

هذا السر هو الذي أخرج عليا عليه السلام عن حدود الإسلام وحتى المسيحية إلى نطاق أوسع حتى جعله يحب الناس من كل دين، وفرقة، وطائفة، كما أشرنا إليه سابقاً، وقد أقر بهذه الحقيقة جرداق حين قال: «إنك ما ضربت بعينيك صفحات هذا التاريخ إلا لتدرك حقيقة حقة، وهي أنك قلّما تجد في شخصياته العظيمة من أجمع الناس على حبّه، وإجلاله، والانتصار له، إجماعهم على حبّ علي بن أبي طالب وعلى إجلاله والعطف على قضاياه» (جرداق، ١٣٢٣، ص٩٤٧).

ويقول مرةً أخرى: «ويستمر إعجاب الناس بعلي عليه السلام من كل سبيل ويتصل حبهم له من كل وجه، فيكثر القائلون، وكلهم معجب محبّ، وإنهم ليلتقون جميعاً عند حكم يكاد يكون واحداً، وهو أن علياً بن أبي طالب عملاق فكر وبيان، وشخصيته تتدفق بنور الوجدان. ومن ثم فهو جدير بالإعجاب والحبّ العميقين، وفي عداد هؤلاء من تتسم نظرته إلى علي عليه السلام بطابع النبوة...» (جرداق، ١٣٢٣، ص٩٤٨).

ويحار الدارس في حقيقة علي وعمق حبّه في قلوب الناس وخلوده ولا يجد له تفسيراً بمنطق أهل الأرض فيحيل القارئ إلى التشرّف بمعرفة الإمام عليه السلام كما فعله جوزيف الهاشم حين طلب منهم أن يتشرفوا بمعرفة الإمام، ليتهم يدركونه بضمائرهم.

كثيراً ما نجد الدارسين يبحثون عن هذا السرّ الذي جعل علياً عليه السلام خالداً بخلود الله فقد قال سلهب: «فتشت في الدنيا عن سرّ خلودك فلم أجد عند أهل الأرض جواباً ألعلّك من أبناء السّماء؟ أم لعل أهل الأرض ما استحقّوا أن تكون عليهم أميراً، فسلخك الله عن قلوبهم فأدماها ولا تزال إلى اليوم تتضوّر شوقاً إليك وحنيناً؟» (سلهب، ١٤٣١، ص٢٧٢).

ماذا يرى سلهب؟ يرى قلوب الناس أجمعين مجروحة تدمى وتتألّم لبعدها عن علي عليه السلام وتتضوّر شوقاً إليه.

ويأتي بأسئلة تشير إلى حيرته من أسرار علي عليه السلام ويقول مرة أخرى: «أيكون الله يوم ولدت قد أفرغ في روحك بعضاً من روحه وإلا كيف استطعت أن توقف الزمن؟» (سلهب، ١٤٣١، ص٣٧٤).

إلى أن يلمح بعض الشيء في أسرار الإمام وهو أن حياة الإمام «سفر قداسة»، وأنه تعلق بالله الحي القيوم، فأصبح حياً بالله كما وجد الله حياً في علي عليه السلام حين قال: «حياتك سفر قداسة لو يقرأه البشر ويعيشونه، لاستحالت قلوبهم قطعا من سماء. ذلك هو سر خلودك يا علي: لأنك حي بالله والله حي فيك» (سلهب، ١٤٣١، ص٢٧٧).

ويرى البعض أنّ السر في عظمة علي التي تتجلى في جامعيته للفضائل والكمالات، فكأنه معدن تذاوبت فيه المعادن، أو ينبوع فاض بجميع المواهب. يقول سليمان كتاني في هذا المجال: «جداول من المواهب تلبست المزايا والصفات كما تتلبس الأفانين أوراق الربيع، وتضافرت في تساجمها وتناسقها كحبال الشمس، وحّدها المصدر، وكالمصهر تتذاوب فيه المعادن، هكذا انصهرت في هذه الشخصية مجموعة المواهب ومجموعة الصفات ومجموعة المزايا قيمة بقيمة، ووزناً بوزن، ومقداراً بمقدار، فإذا هي يتزاوج بعضها من بعض كما تتزاوج الألوان في لوحة رسام... وإذا المعطيات كالفيض تجري كأنها في سباق، وتساند كأنها أنداد» (كتاني، ١٤٢٨، ص٧٩).

ويذكرنا قول الكتاني هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» (الكليني، ١٣٦٥، ج٨، ص١٧٧)؛ فإن كل إنسان يشبه معدناً من تلك المعادن. أما علي عليه السلام معدن تذاوبت فيه المعادن، ينبوع فاض بالمواهب إلا أن اجتماع الفضائل في علي عليه السلام إلى جانب كماليتها خلق تناسباً وتناسقاً، فكل من الفضائل أخذ مكانه الخاص في وجود الإمام، وصاغ منه إنساناً فريداً لا مثيل له، أو قل: معياراً من الإنسان الكامل بكل أبعاده

وزواياه. وقد أطال المسيحيون الدارسون للإمام علي في مجال علومه وفضائله، وبسطوا القول في جوانبه المختلفة، فوجدوا فيه الكمال عرضاً، وطولاً، وعمقاً، وارتفاعاً، ووجدوا في جميعها اتحاداً، وتناسباً،

وانسجاماً، فوصلوا إلى النتيجة بأن هذه الشمولية والكمالية والتناسق في الفضائل والخصال الحسنة ليست إلا لأنها صدرت من ينبوع واحد جعل الله وجود علي بروحه وجسده وعاءً صالحاً لذلك النبع الخالص الصافي. وأن ذلك الينبوع ليس له نهاية ولا حدود من الزمان والمكان.

يرى ميخائيل نعيمه أنه ليس لفكر علي عليه السلام وروحه وبيانه حدود من زمان ومكان، فهي من العمق تتحد بحقائق ثابتة وأصول قائمه، في بناء الخير والجمال الفني الممتع. وهي من الأصالة بحيث تتصل بأركان الوجود الفكري والروحي والجمالي اتصالاً لا شك فيه. وحين يصف روائع بيانه، يشبهه بـ «لآلئ بلغت بها الطبيعة حدّ الكمال. وكأنه البحر يقذف بتلك اللآلئ دونما عنت أو عناد» (جرداق، ١٣٢٣، ص٩٥٣).

هنا يجدر بالمسلم أن يتذكر ما ورد في الأحاديث، وزيارة الجامعة الكبيرة بالذات، من أوصاف وصف بها الأئمة عليهم السلام من مثل: بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة.

فكأن الله جعل لكل الخير والبركة والرحمة والحياة والعلم والفضيلة معدناً في العالم، وجعل من قلوب عباده المكرمين أوعية لها، فعلي عليه السلام ذلك المعدن الذي تذاوبت فيه المعادن. فهو جامع الأسماء الحسنى والصفات العليا. فمن الطبيعي أن يحبّه كل من يهوى الكمال، أو يهوى صفة من صفات الكمال؛ لأنه يجد الكمالات مجتمعة في وجود إمام المتقين، علي بن أبي طالب عليه السلام، فيهواه. فعلى هذا، يكون حب المرء للإمام، حب الكمالات والفضائل، إلا إذا كان جاهلا بمقام علي عليه السلام العالية، لنقص في معرفته، أو متجاهلاً له، لخبث في طويته.

أما جبران خليل جبران الذي ينظر إلى علي عليه السلام نظرته إلى من اتصل بأسمى ما في الوجود وبلغ الذروة في الكمال واتحد به اتحاداً. فإذا هو يلازم الروح الكليه ويجاورها، فيقول في ذلك: «في عقيدتي أن ابن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها. وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل، فتاهوا بين مناهج بلاغته، وظلمات ماضيهم. فمن أعجب بها كان اعجابه موثوقاً بالفطرة، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية» (جرداق، ١٣٢٣، ص٩٥٢).

وقد ربط جبران بين علي عليه السلام وفطرة الله التي فطر الناس عليها. فمن كان محباً لفطرة الله، فهو يحبّ علياً عليه السلام ، لا محالة.

هناك نقطة في بيان جبران لابدّ من الانتباه إليها وهي أنه جعل محبة الإمام حداً فاصلاً يفصل بين إنسان موثوق بالفطرة وبين أبناء الجاهلية.

لماذا الإنسان المرتبط بالفطرة يحبّ علياً عليه السلام والإنسان الجاهلي المفصول من الفطرة لا يحبّ علياً عليه السلام ؟

هل هناك علاقة بين الفطرة التى فطر الناس عليها وبين علي عليه السلام ؟ هل الفطرة تساوي علياً عليه السلام ؟ وهل علي عليه السلام يعدل الفطرة؟ هل هو نسخة أخرى من الفطرة؟ هل الفطرة وعلي لفظان لمفهوم واحد؟ فمن كان موثوقاً بالفطرة يجد علياً في ضميره فيحبه.

هذه حقيقة كشفها جبران وأقرانه من الأدباء، والفلاسفة، والمفكرين، من خلال تعمقهم في حياة علي، وسبرهم أغوار بيانه وبلاغته، دون أن يكونوا مسلمين ويعتمدوا في كشفها على الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في علي عليه السلام ، يصرح فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الحقيقة، إذ يجعل حبّه عليه السلام ميزاناً صادقاً، يزن به إيمان أصحابه، وفرقاناً حقاً، يميّز به بين المؤمنين منهم والمنافقين. وهو الذي يقول صلى الله عليه وآله وسلم : «علي عليه السلام حبّه إيمان وبغضه نفاق» (المجلسي، ١٣٦٣، ج٢٧، ص١١٢).

وكأنه عليه السلام ليس معياراً لصدق إيمان المسلمين فحسب، بل هو ميزان عام، ومعيار أبدي، يوزن به إيمان الإنسان من أي دين وفرقة وطائفة؛ إن كان في ايمانه صادقاً أو غير صادق. فالمؤمن محب لعلي ولن يتنازل عن هذا الحب كما لن يتنازل عن إيمانه، وقد قال علي عليه السلام : «ولو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجَمّاتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني» (نهج البلاغة، قصار الحكم، ج١، ص٤٥).

النتيجة

لقد أنتجت دراسات الأدباء المسيحيين مثل: سليمان كتاني وبولس سلامة وعبد المسيح الأنطاكي وجورج شكور وجبران خليل جبران وغيرهم أن علياً عليه السلام حقيقة كامنة في ثنايا الوجود وإنه جامع لجميع المزايا الإنسانية والفضائل الخلقية والمعارف الإلهية والكونية، فهو مثال حي لكل ما هو ايجابي على مسرح الحياة، ولذلك من كان صادقاً مع فطرته ومحباً

لها، فهو يميل إلى علي عليه السلام لا محالة ويحبه كما يحبّ فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومن كان كاذباً مع حقيقة نفسه، وكارهاً لها، يبتعد عن علي عليه السلام بُعد الثرى عن الثريا.

وإن حب هؤلاء المسيحيين للإمام عليه السلام وتعليلاتهم لأسرار هذا الحب العميق بإمكانهما أن يكشفا للبشرية أن لله تبارك وتعالى في خلق علي عليه السلام واختياره وصياً لآخر الأنبياء وإماما للأمة الإسلامية الراقية ألطافاً خفية وأسراراً عميقة وأهدافاً سامية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأهدافه في خلق العالم وخلق الإنسان وبعث الأنبياء ويدعو المجتمعات البشرية الراقية إلى التعميق في دراسة شخصية هذا العظيم الحق وآثاره القيمة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة.

١. *الكتاب المقدّس* (العهدين القديم والجديد).

٢. الأميني، عبد الحسين أحمد (١٣٨٧هـ). *الغدير في الكتاب والسُنَّة*. ط٥، بيروت: دار الكتاب العربي.

٣. الأنطاكي، عبد المسيح (١٤١١هـ). *ملحمة الإمام علي*. ط ٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٤. بارا، أنطون (١٤٢٧هـ). *الحسين في الفكر المسيحي*. ط ٤، بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع.

٥. جرداق، جورج (١٣٢٣هـ). *الإمام علي صوت العدالة الإنسانية*. قم: منشورات ذوي القربى. ويضم الكتب التالية: «*بين علي والثورة الفرنسية*»، «*علي وعصره*»، «*علي وسقراط*»، «*علي وحقوق الإنسان*»، «*علي والقومية العربية*».

٦. سلامة، بولس (١٤٢٣هـ). *عيد الغدير*. قم: مطبعة أفق.

٧. ــــــــــ (١٤٢٥هـ). *مآثر الإمام علي بن أبي طالب والإمام الحسين في وجدان بولس سلامة*. بيروت: دار الحمراء للطباعة والنشر والتوفيق والتوزيع.

٨. سلهب، نصري (١٤٣١هـ). *في خطى محمّد ويليه: في خطى عليّ*. بيروت: دار الميزان.

٩. شكور، جورج (٢٠٠١م). *ملحمة الرسول* صلى الله عليه وآله وسلم. بيروت: نوّار.

١٠. ــــــــــ (٢٠٠٦م). *عنهم وعنّي*. بيروت: دار الأخطل الصغير.

١١. ــــــــــ (٢٠٠٧م). *ملحمة الإمام علي* عليه السلام. بيروت: الطباعة والتجليد SAB international.

١٢. العزيزي، روكس بن زائد (دون تا). *الإمام علي أسد الإسلام وقدّيسه*. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٣. كتاني، سليمان (١٤٢٨هـ). *الإمام علي نبراس ومتراس*. ط ٢، بيروت: دار الهادي.

١٤. كعدي، ميشال (١٤٢٧هـ). *الإمام علي بن أبي طالب نهجاً وروحاً وفقهاً*. بيروت: الشفق للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. الكليني، محمد بن يعقوب (١٣٦٥هـ). *الكافي*. ط٤، طهران: دار الكتب الإسلامية.

١٦. الكوفي، فرات بن ابراهيم (١٤١٠هـ). *تفسير فرات*. طهران: مؤسسة چاپ ونشر وابسته به وزارت ارشاد اسلامي.

١٧. مؤسسة الحكمة (١٤٣٠هـ). *علي والحسين في الشعر المسيحي المعاصر*. لندن.

١٨. المجلسي، محمدباقر (١٣٦٣هـ)، *بحار الأنوار*. ط٢، تعليق جواد العلوي؛ ومحمد الآخوندي، طهران: دار الكتب الإسلامية.

١٩. النوري، محدث (١٤٠٨هـ). *مستدرك الوسائل*. ج١٥، قم: مؤسسه آل البيت لإحياء التراث.

٢٠. الهاشم، جوزيف (١٤٢٠هـ). *علويات، قصائد من وحي الإمام*. بيروت.